الاستعمالى فى القرآن . يتتبع المفسر ورود اللفظة فى القرآن ، ويخرج برأى فى استعمالها هل كانت له وحدة اطردت فى عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة . وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التى استعملها فيها القرآن .

ومغزى هذا أن الأستاذ أمينا يقدر استقلال النص ممثلا فى كلمات أساسية على أقل تقدير . وقد جرى عرف كثير من الدارسين على أن يسووا بين المعنى اللغوى والمعنى الاستعمالى . كذلك فعلوا فى درس القرآن فضلا على الشعر والأدب بوجه عام . قل أن تجد دارسا يبحث عن ورود لفظ من الألفاظ يحاول أن يتبين مداره أو مسيره . وبعبارة أخرى يتصور كثير من الدارسين الألفاظ تصورا مخطئا . كان الأستاذ أمين يقدر هذا الفرق بين دلالات وضعية أو وراثية ، ودلالات عرفية طارئة ، ودلالات ثالثة فى كتاب أدبى . ودون هذا التقدير لانستطيع أن نثق بما نصنع . وبعبارة واضحة إن المفسرين المتقدمين عجزوا ـ أحيانا ـ عن تلمس الاتجاه القرآنى من ألفاظ اللغة فى خارج بعض الاصطلاحات المعهودة . والنقد العربى نفسه لم يستطع أن يكشف لغة النص على الرغم من العبارات الباهرة التى يوردها الجاحظ وأبوهلال .

ومضت النهضة الحاضرة لا تولى هذا الاستعمال الخاص أهمية أو قل لاتسعى إلى تصور التلاحم الوثيق بين المادة واللغة . دعنى أقف عند بعض الأمثلة النادرة . عنى الأستاذ العقاد رحمه الله بأبى الطيب المتنبى . وكان حانيا على شعره فاستطاع أن يلحظ أن كلمة المودة ليست كلمة عابرة فى ديوان المتنبى . وإنما هى كلمة أصيلة تكاد تكون لازمة فى التعبير عن الحب بشتى معانيه . مثل هذا التكرير للكلمة جدير بالتسجيل لأنه ذو دلالة نفسية ، فهو يدل على افتقار الشاعر طول حياته إلى الود والأوداء حتى قنع بالتزييف والطلاء كما قال :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا
وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ترى
صديقا فاعيا او عدوا مداجيا

قال الأستاذ العقاد وهى ظاهرة لانظير لها فى عامة الشعراء .

هذا مثل مما يسميه الأستاذ أمين باسم الحس اللغوى الذى يعنى العاطفة الرفيقة فيها صفو وشوق ، وليس فيها عنف ولا اعتلاج .